دراسة أسلوبيّة لشعر كمال سبتي في ضوء معادلة بو زيمان

الدكتورة خيرية عچرش (الكاتب المسؤل)
استاذة مشاركة في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
echresh.kh@gmail.com
الدكتور حسن دادخواه
أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
Dadkhah1340@yahoo.com
أحمد عدنان حسين
طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
Ah200kk@yahoo.com

A stylistic study of Kamal Sebti's poetry in the sight of Bou Zeman's equation

Dr. Khayriya Echresh (Responsible Writer)
Associate Professor, Department of Arabic Language, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran
Dr.Hasan Dadkhah Profissor
Department of Arabic Language, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran
Ahmad Adnan Husein
PhD student, Department of Arabic Language, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran

الملخص:-

يهدف هذا البحث إلى دراسة المفهوم الأسلوبي الإحصائي في منهج كمال سبتي، ويهدف إلى دراسة الأسلوبيّة الإحصائيّة، فيعالج مفهوم الأسلوبيّة الإحصائيّة من خلال العلاقة بين القياس الكمّي، والأسلوبيّة الإحصائيّة، وتستند الدراسة بشكل أساسي على ثلاثة أسئلة هي:

١. ماذا نحصي؟

٢. كيف نحصي؟

٣. لماذا نحصي؟

كما يتعرض البحث لمعادلة بوزيمان، ويجري تطبيقاً على شعر كمال سبتي. ويعدّ دراسة الشّعر وفق معادلة بوزيمان بمنزلة المرآة التي تعكس محتويات النّصّ الشّعري. فمن خلاه يمثل لنا الشّاعر مشاعره التي يشعر بها نتيجة ما يعيشه في حياته، وذلك من خلال مجموعة الألفاظ والدّلالات التي تبيّن ذلك مما يشكّل مضمون النّصّ الشّعري، وهذا ما بينه الشّاعر كمال سبتي في أشعاره. ويهدف هذا البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف تمظهرت آناه الشّاعرة وفق ذلك؟ وما أهمّ الألفاظ التي دلت على ذلك؟

الكلمات المفتاحية: كمال سبتي، الأسلوب، الأسلوبيّة الإحصائيّة، معادلة بوزيمان.

Abstract:-

This research aims to study the statistical stylistic concept in Kamal Sabti approach, the research consists the relation ship between the quatitve measurments and the statistical stylistic. The study is mainly based on three questions:

1. What do we count?
2. How do we make statistics?
3. Why do we make statistics?

The poet Kamal Sabti is considersd as a mirror that reflects the contents of the poetic text of the poet. As it represents to us his feelings that affect the poet's self as a result of what he encounters in his life, especially if he is away from his homeland, his family and his friends, through a group of words and indications that show that witch constitutes the content of the poetic text.

Accordingly, this research aims to answer the following problems: What are the most important verbs and Adjectives for the poet Kamal Sabti? And how did the poet's self-manifest. Accordingly? What are the most important words that indicate that?

Key words: Kamal Sabti, style, statistical stylistic concept, Busemann equation.

المقدّمة:ـ

إنّ دراسة أي نصٍّ شعريٍّ أو نثري تدفع الباحث لتوظيف جملة من المبادئ والإجراءات المنهجيّة التي ترشده إلى أعماق النّصّ الإبداعي، وتسمح له باكتشاف أهمّ بنياته العميقة على المستويين الدّلالي والفنّي. إنّ المنهج الأسلوبي يُمكّن الباحث من الولوج إلى عالم النّصّ الأدبي، واستنطاقه للكشف عن الطّاقة الإبداعيّة فيه من خلال المقاربة الموضوعيّة وفقاً لرؤية واضحة. إنّ المنهج الأسلوبي هو من أغنى المناهج النّقديّة المعاصرة في تصدّيه لجماليات النّصّ الإبداعي بوصفه نصّاً ذا معاني متعدّدة، ومن هنا تعد الأسلوبيّة علماً متعدّد المستويات، يتمتّع بمرونة في توظيف مستويات اللغة الصّوتيّة والتركيبيّة والدّلاليّة.

أوّلاً - كمال سبتي، حياته وشعره:

١. حياته:

كمال بن سَبتي بن إبراهيم النّاصري (٢٥٢ - ٢٠٠٢). وهو شاعر عراقي، ولد في مدينة الناصرية، ونشأ بها، أكمل دراسته الابتدائية فيها ثم المتوسطة، فنال شهادتها في ٩١٩١، ثم ذهب إلى بغداد، فالتحق بمعهد الفنون الجميلة، وتخرج فيه حاملاً شهادة في الإخراج السينمائي في ٩١٩١، ثم واصل تعليمه بأكاديمية الفنون الجميلة، ولم يكمل فيها، فالتحق بالخدمة العسكرية، ثم هرب منها إلى المملكة الإسبانيّة في ٩١٩١، حيث أكمل دراسته في جامعة مدريد المستقلة، ثم طلب اللجوء السياسي في هولندا في ٩١١٩، وظل فيها يعمل بالكتابة حتى رحيله بها، ترجم شعره إلى لغات مختلفة، ويعد أحد أهم أعمدة الشعر السبعيني في العراق (diwanadb. Com تمت الزيارة بتاريخ ٢/ ٢/ ٢٠٢٢).

١. شعره:

أمّا شعره فقد ذكره عبد العزيز البابطين في معجمه، ووصفه بالشّاعر المجدّد. كتب الشعر المرسل، موسوم بعمق المعنى وكثافة التعبير، له خيال مركب متداخل في صوره، إذ تجعل قصيدته متماسكة في بنائها، فتبدو القصيدة، مثل دفقة شعرية واحدة متعددة في معانيها، وقد تنزع إلى السرد، فتشتبك مع التاريخ أو الأسطورة أو الطبيعة التي تحضر مفرداتها بقوة، فتكسب قصيدته مسحة وجدانية رقيقة، ومجمل شعره يصدر عن ذات مؤرقة

تناجي وتتأمل وتتساءل في فضاء زمني ومكاني واسع، متنوع في ملامحه ومعطياته وتأثيراته في ذاته الشاعرة.

(diwanadb. Com تمت الزيارة بتاريخ ٢/ ٢/ ٢٠٢٢).

من مجموعاته الشعرية (diwanadb. Com تمت الزيارة بتاريخ ٢/ ٢/ ٢٠٢٢):

- وردة البحر، ٩١٩١
- ظل شيء ما، ٩١٩١
- حكيم بلا مدن، ٩١٩٩
- متحف لبقايا العائلة، ٩١٩١
- آخر المدن المقدسة، ٩١١١
- آخرون.. قبل هذا الوقت، ٢١١٢
- بريد عاجل للموتى، كتاب سردي وشعري، ٢١١١
- صبار قالت الطبائع الاربع، ٢١١٩

ثانياً - الأسلوب والأسلوبية:

١. الأسلوب

عناصر الأدب خمسة، هي: العاطفة والخيال والمعنى والموسيقى والأسلوب (علي سليمي، محمد نبي أحمدي، الأدب وعناصره الجمالية، مجلة اللغة العربية وآدابها، ١٣٣١ق، العدد ١٠، ص٢٢) . وأمّا العاطفة والخيال والمعنى (أو الفكرة) ، فيجب أن تؤدّى بوسيلة لفظيّة ملائمة، وهي وسيلة مهمّة لا تقلّ مكانها عن مادّة الأدب أو معانيه (أحمد الشّايب، أصول النقد الأدبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ٢٠٠٣، ص٣٢) . فعندما تكون التّجربة الشّعورية صادقة، تلتصق بمشاعر المبدع، وتعبّر عمّا يدور في نفسه بكلّ صدقٍ وشفافيّةٍ، حينئذٍ تكون العواطف جيّاشة، تحرّك الخيال، وتأخذ من خيالات المبدع ورؤاه ما يغذي إيحائية النّصّ الشّعري، ورونقه، وجماله. ولا يمكن دراسة النّص الشّعري بمعزل عن

العاطفة والخيال والموسيقى؛ إذ بهم يتحدّد اتجاهه، وترسَم أبعاده، وتتنوع المشاعر والأحاسيس، وتتحول المعاني من تجريدية تقريرية إلى خياليّة تخيليّة ترتبط أشدّ الارتباط بالعاطفة، وبموقف الشّاعر النّفسيّ تجاه موضوع معيّن. فالقصيدة الشّعريّة هي تجسيد للحظة شعوريّة عاشها الشّاعر، وأخضعها لصدق أحاسيسه وترجمها في قالب فنّيّ تشكيليّ (بندتو كروتشه، المجمل في فلسفة الفن، ترجمة: سامي الدروبي، القاهرة، ١٢٣٢، ص ٥٥). أما الخيال، فهو قوة خلاقة منتجة للصّور، تمنح الشّاعر القدرة "على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحسّ، ولا تنحصر فاعليّة هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآليّة لمدركات حسّيّة ترتبط بزمان أو مكان بعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك، فتعيد تشكيل المدركات، وتبني منها عالماً متمي اًز في جدته وتركيبه، وتجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات ف ريدة، تذيب التنافر والتباعد، وتخلق الانسجام والوحدة" (جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٢٢٢، ص ١٣)، ويمثل الخيال قوة تستطيع استرجاع الماضي، وترجمة الحاضر والتحليق به نحو المستقبل، وقد قال ابن رشيق: "سمّي الشاعر شاعراً لأنه شعر بما لا يشعر به غيره" (ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٢٥٥، ص ٢٢).

أما الأسلوب، فهو غلاف للغة وجماليّاتها، ويبيّن لسان العرب معناه، فيقول:" يقال للسّطر من النّخيل أسلوب، وكلّ طريق ممتدّ هو أسلوب، والأسلوب: الطّريق، والوجه، والمذهب، والفن. يقال: أخذ فلان في أساليب القول؛ أي في أفانين من القول" (ابن منظور المصري الإفريقي، لسان العرب، مادة سلب).

ويعدُّ ابن طباطبا من أوائل النّقاد البلاغيين الذين تعرّضوا لمفهوم الأسلوب دون التصريح بتسميته لفظا؛ إذ يشير إليه في معرض حديثه عن طريقة الشّاعر إذا رغب بالنّظم، فيقول: "الذي يريد بناء الشّعر عليه في فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والقول الذي يسلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه؛ بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله،

فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها، وسلكا جامعاً لما تشتت منها" (ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٢٩٢، ص ١١)، وما يتحدّث عنه ابن طباطبا في قوله هذا هو الأسلوب. كما تكلم عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" على الأسلوب، فقال: "لما كانت المعاني إنما تتبيّن بالألفاظ، وكان لا سبيل للمرتب لها والجامع شملها، إلى أن يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره، إلا بترتيب الألفاظ في نطقه، تجوّزوا فكنّوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ، ثم بالألفاظ بحذف الترتيب" (عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٢٢٩، ص ٢٣).

إنّ تحديد معنى الأسلوب بوصفه مصطلحاً لأمر صعب، "فهذا المفهوم شأنه شأن أية مقولة من مقولات العلوم الإنسانية يختلف تحديده من حقبة إلى أخرى، ومن وجهة نظر إلى أخرى" (حسن ناظم، البنى الأسلوبية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٢، ص١٣)، وتبعاً لذلك فقد تعددت تعاريف الأسلوب حتّى جاءت "في أكثر من خمسة وعشرين تعريفاً، كلّ تعريف منها هو تعبير دقيق عن وجهة نظر المعرّف، ورسم واضح ودقيق لمنهجه" (فيلي ساندرس، نحو نظرية لسانية أسلوبية، تر: خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣، ص١٣). فهناك من درس الأسلوب بالنّظر إلى فكر المبدع، هناك من وضع ثقل الدراسة في اللغة وما تحمله من شحنات تعبيريّة، ومنهم مَنْ عدّ الأسلوب متعلقاً بالمتلقي.

بيد أنّ أغلب الباحثين أرى أان الأسلوب يجمع بين اللغة وجماليّاتها. إنّ جماليّة النّصّ الشّعري هي الأثر الذي يتركه النّصّ في ذات القارئ؛ أي: في طريقة تقديمه، وبالتّالي الأسلوب يشكّل هوية تميّز المبدع عن غيره من أصحاب القلم.

إنّ نظرة فاحصة للمعجمات الاصطلاحيّة التي تنهض بمهمة تعريف المصطلحات اللغويّة والأدبيّة تظْهِر الاختلافات في تعريف مصطلح "الأسلوب، "فمعجم المصطلحات الأدبيّة لإبراهيم فتحي يعرّفه بأنّه "طريقة وضع الأفكار في كلمات، ونمط له خصوصيّته في الصّياغة والتعبير في لغة الكتابة أو لغة الحديث، وهو الخصائص المميّزة لنصّ أدبي، والمتعلقة بشكل التعبير أكثر من تعلقها بالفكرة التي يقوم النّصّ الأدبي بتوصيلها" (إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس،

٢٩٢م، ص٢٩)، كما يرى أنّ "كلّ ما يقوله الكاتب والطّريقة التي يعبّر بها عما يقوله هما عنصران أساسيان في الأسلوب" (إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص٢٢)، وعلى ذلك يمكن القول إنّ الأسلوب هو التّأثير الخاصّ لشخصيّة الكاتب الفنّيّة في المادّة التي يتناولها بالتعبير. ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب يقتبس تعريفاته المختلفة من كتب القدامى والمحدثين، من دون أن يقدّم تعريفه الخاص (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٢٩٣، ص ٣٣ - ٣٩).

إنّ البحث عن مفهوم الأسلوب في النّقد الغربي يحيل إلى التّحديد الأولى لهذه الكلمة. فالأسلوب في اللغة اللاتينية تقابل كلمة "استيلوس" وتعني "الإزميل"، أو "المنقاش" الذي يُستخدَم للكتابة أو الحفر على الخشب أو الجدران، وقد كان اللاتين يوظّفون هذه اللفظة توظيفاً مجازيّاً لتشير إلى شكلية الحفر، أو شكلية الكتابة. وقد اكتسبت اللفظة دلالة اصطلاحيّة لتدلّ على الطّريقة الخاصّة للكاتب في التعبير عما يريد (عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشوارت اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠، ص٣٣). وعرّف بيير جيرو الأسلوب بقوله: "طريقة للتعبير عن الفكر بوساطة اللغة" (بيير جيرو، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للطباعة والترجمة والنّشر، ط٢، ١٢٢٣، ص١٠)، وهو "مظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير، هذه الوسائل التي تحدّدها طبيعة ومقاصد الشّخص المتكلم أو الكاتب" (صلاح فضل، علم الأسلوب، دار الشّروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٢٢٩، ص١٢٢). والأسلوب عند مارسيل بروست "بصمات تحملها صياغة الخطاب فتكون كالشّهادة التي لا تمحى" (عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط٣، ص٢٠)، والأسلوب "أداة، واهتمام الكاتب به يأتي من كونه يستخدم في العمل الكتابي، وما دام الأمر كذلك، فلابدّ له حين ينقل الفكرة أن يشحنها بطاقة تعبيريّة قصوى" (منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٣)، وثمّة تصوّر آخر تمثّله عبارة مارسيل بروست "إن الأسلوب ليس بأية حال زينة أو زخرفاً، كما يعتقد بعض النّاس، كما أنها ليست مسألة تكنيك، إنّه مثل ال لون في الرّسم، إنّه خاصيّة تكشف عن العالم الخاصّ الذّي يراه كلّ منّا دون سواه" (صلاح فضل، علم الأسلوب، ص٩٥).

إنّ اتفاق الباحثين عرب أو غربيين، قدامى أو محدثين حول تعريف واحد للأسلوب لهو من الصّعوبة، بيد أنّه أجمعت معظمها على دور المنشئ أو المؤلف فيه؛ إذ يشكّل جزءاً من شخصيّته؛ أي إنّه نابع من الذّات ومكمّل لها في الوقت نفسه (حسن ناظم، البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، المركز الثقافي العربي، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢، ص٢٢)، ومهما تعدّدت المفاهيم الاصطلاحيّة لعلم الأسلوب تظلّ تدور في فلكٍ واحدٍ يجمع بين اللغة وجماليّاتها، وجماليّة النّصّ الشّعري هي الأثر الذي يتركه النّصّ في ذات القارئ؛ أي في طريقة تقديمه، فالأسلوب يعكس شخصيّة الكاتب، ومزاجه، وتصوّره للأشياء.

٢. الأسلوبية:

والأسلوبيّة من أهمّ المناهج النّقديّة، تعمل على مقاربة النّصّ وتفحص أدواته وآلياته وتشكيلاته الفنّيّة، فهي تعالج النّصّ الأدبي بوصفه رسالة لغويّة (ينظر: هنريش بليث، البلاغة والأسلوب، تر: محمد العمري، إفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان، ١٢٢٢، ص٥٠). ويُعدّ "فون درجا بلنتش" أوّل من أطلق مصطلح "الأسلوبيّة" عام ١٩٢٥ دالّاً على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغويّة والبلاغيّة في الكتابة الأدبيّة (حسن ناظم، البنى الأسلوبية، ص٣١). وقد عُرِّفَت "الأسلوبيّة من منطلقات متباينة، فهي "علم وصفي يُعنَى ببحث الخصائص والسّمات التي تميّز النّصّ الأدبي بطريقة التّحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدّراسة الأسلوبيّة" (يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، الأهليّة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٢٢٢، ص١٢١).

وهي بحث عمّا يتميّز به الكلام الفنّي عن بقية مستويات الخطأ أولاً، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانيّة ثانياً (يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص١٢١)، وهذا يعني أنّ الأسلوبيّة تعتمد على التّحليل، وبالتّالي هي علم تحليلي يبحث في الخصائص الفنّيّة التي ينماز بها الخطاب الأدبي عن باقي مستويات الكلام. إنّها فرع من اللسانيّات الحديثة مخصص للتّحليلات التفصيليّة للأساليب أو للاختيارات اللغويّة التي يقوم بها المتحدّثون والسّكنات في السّياقات (البنيات) غير الأدبيّة وهذا يعني أنّ الأسلوبيّة هي علم أو فرع من اللسانيّات تختص بتحليل النّصوص الأدبيّة (يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص١٢١).

٣. اتجاهات الأسلوبية:

اختلفت طرائق دراسة النّصوص الأدبيّة باختلاف النّقطة التي ينطلق منها الأسلوبي في دراسة النّصّ. فالنّصّ بنية مستقلة عن كلّ ما حولها، وعلاقة النّصّ بمبدعه كونه يحمل ميسم صاحبه، وفكره، وشخصيته عمّا كان يقصده صاحب النّصّ أو ما تجليه بنية النّصّ من دلالات موضوعيّة مستقلة عن كلّ ما حولها (بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النّقد المعاصر، ص١٢٢). لقد نهضت الاتجاهات الأسلوبيّة المختلفة بمهمّة دراسة النّصوص الأدبيّة مرتكزة على التراث السوسيري على المستويين، النّظري والإجرائي، ومن أهم الاتجاهات الأسلوبيّة: الأسلوبيّة التعبيرية، والبنيوية، والإحصائيّة، وغيرها.

الأسلوبية التّعبيرية: ويعدّ شارل بالي - وهو أحد تلامذة اللساني فرديناند دوسوسور- مؤسس علم الأسلوب؛ إذ اعتمد على دراسات أستاذه دوسوسير، فوضع أسس الأسلوبيّة التعبيرية، مركّزاً على العناصر الوجدانيّة للغة، ومهتماً بالبحث عن علاقة النّصّ بالتعبير، وابراز الجهد الذي يبذله المتكلم ليوفّق بين رغبته في القول، وما يمكن أن يقوله. فالمبدع يسعى إلى إيصال أفكاره إلى المتلقي، وغالباً يريد أن يؤثر فيه. لقد ركّزت الأسلوبيّة التعبيريّة على تلك الشّحنات العاطفيّة في النّصّ بغضّ النّظر، هل هو نصٌّ أدبي أو عادي، ومن هنا نُظِّرَ إلى أسلوبية بالي على أنّها أسلوبيّة اللغة، وليست أسلوبيّة الأدب (محمد بن يحيى، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، ص١٥).

الأسلوبية البنيوية: وضع أسسها فرديناند دوسوسير. وتعنى الأسلوبيّة البنيويّة بالسعي إلى "تحليل النّصّ الأدبي بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغويّة المكوّنة للنّصّ وبالدّلالات أو الإيحاءات التي تنمو بشكل متناغم" (نور الدين السدّ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار همة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج١، ٢٠١٠، ص٩٢) . يقوم هذا النّوع من الأسلوبيّة بتحليل النصوص بالنظر إلى ما يدخل في تركيب النّصّ والعناصر المشكّلة له مع التركيز على دلالتها، وما تحمله من إيحاءات. ويرى مارسيل كروسو أنّ الأسلوبيّة البنيوية "تتضمن بعداً ألسنياً قائم على علم المعاني والصّرف وعلم التراكيب، ولكن دون الالتزام الصّارم بالقواعد" (محمد بن يحيى، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، ص١٥)؛ لأنّها تهتم بأصغر وحدة مشكّلة للنّصّ (الصّوت) وصولاً إلى أكبر وحدة، وهي

النّصّ ككل من دون مراعاة القواعد الصّارمة؛ أي وجود انزياحات.

ثالثاً - الأسلوبية الإحصائية:

إذا كانت الأسلوبيّة هي العلم الذي يمكن من خلاله دراسة الأدب مِّنْ جَمْعٍ معطيات محدّدة عن اختيارات فرديّة لأديب ما في الممارسة اللغويّة، فإنّ وصفها بالإحصائيّة تفرض عليها التزامات معيّنة. فالإحصاء في المعجم الفلسفي هو "عدّ الأشياء وضبطها، وهو الأصل في علم الدّولة لاقتصاره على دراسة شؤون الدّولة من جباية وتجنيد ودخل وتخريج" (جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٢٢٩، ص٣٥) ثمّ أطلق بعدها على "جمع نوع معيّن من الوقائع والأشياء المتعلقة بسكّان الدّولة من جهة ما قابلة للعدّ والقدر" (فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة: خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣، ص٣٥) أو "لأنّ علم الإحصاء هو الذي يبحث في الحصول على قيم معيّنة تمثّل الاتجاهات التي تشير إليها مجموعة كبيرة من الأرصاد والقياسات، وأشهر مقياس إحصائي هو الوسط الحسابي، والانحراف الإحصائي الذي يبيّن مدى بُعد القيم الفرديّة عن الوسط الحسابيّ" (فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص٣٥). كما يُعنَى "بمسألة العيّنات التي تهدف إلى معرفة مدى انطباق الإحصاء الخاصّ بمجموعة كبيرة من القيم" (فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص٣٢).

واللفظ "إحصائي" هو صفة مشتقة من المصدر "الإحصاء"، أو المتعلق بالإحصاء، فيقال: المقياس الإحصائي، أو الطّريقة الإحصائيّة (فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص٣٢). وقد عُرِّف "الإحصاء" بأنّه "مجموعة النّظريّات والطّرق العلميّة التي تبحث في جمع البيانات وعرضها وتحليلها واستخدام النّتائج في التنبؤ والتقرير واتخاذ القرار" (محمد عبد السّميع طيبة، مبادئ الإحصاء، دار البداية، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٢، ص١٢)، أو هو "ذلك الفرع من العلوم يختص بالطّرق العلميّة لجمع البيانات وتنظيمها وتلخيصها وعرضها وتحليلها وذلك للوصول إلى نتائج موثوقة" (محمد عبد السّميع طيبة، مبادئ الإحصاء، ص١٣).

وتعدّ الأسلوبيّة الإحصائيّة ذروة ما توصّلت إليه الأسلوبيّة في مجال تحقيق الموضوعيّة، والابتعاد عن الذّاتيّة. ويسعى هذا الاتّجاه إلى إحصاء تكرار بعض العناصر اللغويّة

الموجودة في النّص الأدبي، وتقدّم لنا بيانات دقيقة محدّدة من أجل إيصال رسالة معيّنة إلى المتلقي، "يمكن استخدامها لتشخيص الأساليب، وتمييز الفروق بينها" (سعد مصلوح، الأسلوب) دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط٣، ١٢٢٢، ص ٥١). ولكن الإحصاء وحده لا يكفي بل يجب إرفاقه بدراسة تحليليّة تفسيريّة، كما ورد في النّصّ وتقديم النّتائج.

ويحظى المنهج الإحصائي بمكانة مرموقة؛ إذ أصبح "صاحب اليد الطولى في مجال الأسلوبيّات باعتباره نموذجاً للدّقّة العلميّة التي تترك مجالاً لذاتيّة النّاقد أو الباحث لكي تنفذ إلى العمل الأدبي" (محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبيّة، مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، ط١، ١٢٢٣، ص١٢٩).

إنّ الباحث في النّصّ الأدبي يستطيع أن يعتمد طرائق مختلفة لفهم المنهج الذي قام عليه النّصّ الشّعري، والذي عبّر به الكاتب عمّا يدور في ذهنه من دلالات وأفكار مختلفة، ومنها هذه الطرائق استخدام الأسلوب الإحصائي عن طريق القيام بالحسابات والإحصاءات للمفردات المستخدمة في النّصوص. إنّ المنظور الإحصائي في معالجة النّصّ الأدبي كما يقول سعد مصلوح لا يعدو أن يكون أداة منهجيّة، وليس منهجاً، وما يزال الطّريق أمامه طويلاً لكي يصبح نظرية من نظريات الدّرس الأدبي، لكنّه بيقين أداة كاشفة ومعينة ووسيلة منهجيّة واعدة. وهي قادرة على أن تخطو بدارسي الأدب خطوات كبيرة في سبيل عقلنة التذوّق، وعملية التناول، والتسويغ المنطقي للأحكام والتفسير المنضبط للمظاهرات الأدبيّة (سعد مصلوح، الأسلوب، ص٢).

ربعاً - الأسلوبية الإحصائية عند سعد مصلوح:

قدّم بيير جيرو جهوداً كبيرة في إرساء أسس الأسلوبيّة الإحصائيّة، وقد أرى أن الأسلوبيّة هي "علم الأسلوب؛ أي أنّها مجرّدة بالضّرورة، وهي تحليليّة وموضوعيّة وعقلانيّة (بيير جيرو، الأسلوبية، ص١٣٢)؛ لأنّها متفرّعة عن اللسانيات، ومنهجيتها الصّارمة. لقد اهتمّت الدّراسات اللغويّة بالخطاب الشّعري، فأرادت إخضاعه إلى معايير العلم، بيد أنّها افتقدت إلى علمية المنهج، وانضباط أدواته، "وخاصّةً فيما يتعلق بالجانب الإحصائي. ومن أهمّ مظاهر هذا القصور أنّ الباحثين يعنون أنفسهم بتقديم عشرات الجداول الإحصائيّة

يضمنونها نتائج بحوثهم، ومع ذلك تأتي عديمة الجدوى" (سعد عبد العزيز مصلوح، الأسلوب، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠، ص)، فيبرزون الجانب الكميّ دون أن يؤدّي دلالة معيّنة على مستوى النّتائج والوظيفة.

إنّ الإجراء الإحصائي يمثل قيمة فاعلة في حال اعتمد "رؤية منهجيّة علميّة دقيقة تتجاوز العدّ المجرّد إلى التعامل مع الإحصاء بوصفه أداة فعالة لإدراك كنه الوقائع الأسلوبيّة، واستخلاص قوانينها" (أحمد يوسف، القراءة النسقية، منشورات الدار العربية للعلوم، بيروت، ومنشوارت الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢، ص٢٩٢).

إنّ النّصّ الأدبي ظاهرة معقدة، وبالتالي إلى أي مدى يستطيع الإحصاء أن يعالجه هو مسألة خلافيّة بين الباحثين، وقد أقرّ اللساني بيير جيرو بوجود هذا الخلاف، فقال: "قضية استخدام الإحصاء في دراسة الأسلوب قضية مختلف عليها، والاعتراض المقدّم غالباً هو أنّ الأسلوب واقعة فرديّة نوعيّة معقدة" (بيير جيرو، الأسلوبية، ص١٣٣). بيد أنّ جيرو، تمسّك بفائدة الإحصاء الأسلوبيّ، وأهميته في معالجة النّصوص الأدبيّة، فقال: إنّ "التّحليل الإحصائي هو الأداة لكلّ العلوم الإنسانيّة التي اتخذت من دراسة الظّواهر النّفسيّة والنّوعيّة ذات الأصل الفردي موضوعاً لها حيث أكّدوا أنّ هذه العلوم تسمح تحديداً برصد الفرد ضمن الكتلة التي تسمح بقياس فرادته، وهذا صحيح في التعميمات والتّجريدات" (بيير جيرو، الأسلوبية، ص١٣٣). كما يرى أنّ الإحصاء الأسلوبي حقل مناسب لقياس الظّواهر الأسلوبيّة، فهي "تبدو في الواقع ميداناً انتقائيّاً للتحليل الأسلوبي، وليس هذا فقط؛ لأنّ الوقائع فيها تلاحظ موضوعيّاً، وتخضع للحساب، ولكن لأنّ اللغة هويّة إحصائيّة ومجموعة من البصمات، والاستعمال المعمم تقريباً لهذه اللغة أو تلك هو الذي يخلق قيمته الأسلوبيّة" (بيير جيرو، الأسلوبية، ص١٣٣). ويقوم الأسلوب على دراسة الانزياحات وبالتّالي، فإنّ "الإحصاء هو "العلم الذي يدرس الانزياحات، والمنهج الذي يسمح بملاحظتها وقياسها وتأويلها، لذا فإنّ الإحصاء لا يتوانى عن فرض نفسه أداة من الأدوات الأكثر فعاليّة في دراسة الأسلوب" (بيير جيرو، الأسلوبية، ص١٣٣). إنّ الأسلوبيّة الإحصائيّة طريقة فريدة لدراسة النّصوص الأدبيّة، بيد أنّ الإحصائيّين يخلطون بين الكمّ والنّوع؛ إذ "لم ينجحوا في تحديد العلاقة الوظيفيّة بين المستويين؛ ولهذا السّبب شكّلت تحليلاتهم جداول حزينة من

العوامل والانزياحات العدديّة لا يظهر معناها، واذا ظهر كان مفرطاً وساذجاً في نظر كل أولئك الذين يكرهون أن يقنّنوا القيم الجماليّة في مجرّد علاقات كميّة" (بيير جيرو، الأسلوبية، ص١٣٣). ومن هنا يفترض أن تتعلق المعالجة الكميّة بالنّاحيّة التّأويليّة.

ويرى بيير جيرو أنّ إشكاليّة الأسلوبيّة تكمن في عدم قدرتها على تحديد مفهوم الأسلوب الذي يتعيّن بأنّه "وجه للملفوظ ينتج عن اختيار أدوات التعبير، وتحدّده طبيعة المتكلم أو الكاتب ومقاصده" (بيير جيرو. الأسلوبيّة، ص١٣٥)، غير أنّ هذا التّحديد يعاني من عدم الدّقّة، لأنّه يتضمّن التعبير، ومنحاه، والمتكلم وطبيعته ومقاصده.

وباعتبار أن منهج الأسلوبيّة الإحصائيّة ظهر أولاً في الغرب، فإنّ اللسانيين العرب عمدوا إلى الاستعانة بهذا المنهج، وتوجيهه لدراسة النّصوص الأدبيّة العربيّة، وكان سعد مصلوح هو أهمّ من انشغل بالأسلوبيّة الإحصائيّة، واشتغل بها، وآمن بمبادئها نظريّاً، وتطبيقيّاً. ومن يطّلع على كتابات مصلوح في هذا المجال يلحظ أنّ المنهج الإحصائي عنده يتأسّس على ثلاثة أسئلة مركزيّة، وهي:

١) ماذا نحصي؟

٢) كيف نحصي؟

٣) ولِّمَ نحصي؟

فهذه الأسئلة هي التي يجب أن ينشغل الباحث في الإجابة عنها عند اشتغاله بالنّصّ الأدبي، وهي التي تعينه على "معالجة لغة الأدب وفق منهج علمي منضبط" (سعد مصلوح، الأسلوب، ص ٢٢). ويدعو مصلوح إلى ضرورة الإفادة من "الأفكار السّائدة الآن في مجال دراسة الأسلوب، واختيار هذا المنهج" (سعد مصلوح، الأسلوب، ص٢٢)؛ إذ يرى مصلوح أنّ هذا المنهج من أفيد المناهج، وقد حققت الدّراسات التي جعلت هذا المنهج أساسها نتائج على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأنّها قائمة على أساس عددي، قابلة للمراجعة والبرهان عليها تطبيقيّاً وعمليّا؛ ولأنّها مرتبطة بالنّاحية الكميّة للمستويات اللغويّة المدروسة، مثل: طول الكلمات، طول الجمل، توزع الكلمات المتكرّرة، تكرّر أنواع محدّدة من الألفاظ، وتوزّعها، تكرّر صيغ نحويّة، وبُنى نحويّة" (فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص٣٢).

ويعرّف سعد مصلوح "الأسلوب" من الوجهة الإحصائيّة عن طريق طرح جملة من الأسئلة، هي:

- ما حدّ الأسلوب؟
- هل يُعَارف بالإضافة إلى المنشئ بوصفه اختياراً؟ أم إلى الرّسالة بما هي شفرة لغويّة؟ أم بإضافته إلى المتلقي من حيث هو طائفة من المثيرات والمنبّهات؟" (سعد مصلوح، في النّص الأدبي، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠، ص ١٢).

يرى مصلوح أنّ الظّاهرة اللغويّة معقدة، وبالتّالي فإنّ "أوّل الشّروط لتحقيق التفاهم أن يكون المرسل والمستقبِل، كلاهما على علم بالشّفرة المشتركة، وبتحققها الفيزيقي من حيث رموزها وعلاماتها، وقواعد تأليفها، ومفاتيح حلها" (سعد مصلوح، في النّص الأدبي، ص١٢).

ويشير مصلوح إلى أنّ النّظريّة اللسانيّة الحديثة قامت على افتراض الوحدة والتّجانس، فوجّهت اهتمامها إلى دراسة العام والمشترك تحت مسمّى اللسانيّات التقريريّة وبالمقابل شغلت الفروقات عناية اللسانيّات الاحتماليّة، وهي التي تنتمي إليها الأسلوبيّات اللسانيّة، والتي يميّزها اتجاهان، هما: مدرسة الأسلوبيّات التقليديّة التي يمثّلها "شارل بالي"، والمدرسة الجديدة التي يمثّلها جاكبسون التي أخذها من الاتجاه البنيوي، لكنّ مصلوح يرى أنّ المدرستين تشتركان في تعريف الأسلوب بأنّه "الصّيغة المميزة للنّصّ" (سعد مصلوح، في النّص الأدبي، ص٢٠)، لكنّ وجهة نظرهما مختلفةٌ؛ إذ "تبحث الأولى عن مصدر تعريفاتها من دراسة الخواص الأسلوبيّة للنّظام أو الشّ يفرة code، على حين تلتمسه الطّائفة الثّانية في وصف البنى الدّاخليّة للرسالة message" (سعد مصلوح، في النّص الأدبي، ص٢٠). لقد سبّب تعريف "الأسلوب" بهذه الطّريقة نوعاً من التعقيد، سببه أنّ التعريف يشكّل نقاط تقاطع بين حقول معرفيّة عدّة، فهي "تتقاطع مع اللسانيّات التقريريّة ومع اللسانيّات الاجتماعيّة، ومع اللسانيّات النّفسانيّة، ومع النّقد الأدبي، ومن ثمّ "فالدّرس الأسلوبي يهتم بدراسة مظهر ذي خطر من مظاهر التنوع في السّلوك اللغوي" (سعد مصلوح، في النّص الأدبي، ٢١). وبالنّظر إلى هذا التعقيد والانفتاح على اللسانيّات بمختلف اتجاهاتها، والنّقد الأدبي بمدارسه المتباينة تكمن أهمية المعالجة الإحصائيّة للأسلوب التي تنوّعت فيها طرق

المعالجة ومسائلها.

واذا كان مصلوح يرى في هذا الأمر الحلّ العلمي والمنهجي لمعالجة ظاهرة التنوع اللغوي على نحوٍ علمي منضبط بالنّسبة للسانيات، فإنّه يرى الإحصاء أشدّ حاجةً بالنّسبة للأسلوبيّات؛ "لأنّها تقارب السّلوك اللغوي بما هو ظاهرة متنوّعة فحسب، بل تقاربه أيضاً بما هو استعمال لغوي متميّز بالقياس إلى غيره" (سعد مصلوح، في النّص الأدبي، ص٢٣).

هذا المبدأ ألزم مصلوح أن يقدّم مفهوماً للأسلوب يتناسب مع المنظور الإحصائي؛ إذ يذهب إلى أنّ علماء اللسان والنّقاد عرّفوه "على أنّه واحد من تجلّيات التنوع في السّلوك القولي إلّا أنّ ماصدقات هذا التنوع عند اللساني أوسع منها عند النّاقد" (سعد مصلوح، في النّص الأدبي، ص٢٣). بالنّظر إلى الغاية التي يصبو كلّ فريق لتحقيقها؛ إذ أنّ "غاية اللساني هي الكشف عن أسرار الظاهرة اللسانيّة، وما سوى ذلك تالٍ وتابع" (سعد مصلوح، في النّص الأدبي، ص٢٣)، وبذلك يكون النّصّ الأدبي قاسماً مشتركاً يتنازعه الحقلان معاً على اعتبار "أنّه واحد من مظاهر استخدام اللغة يوليها اللساني عنايته في بحث الأسلوب من منظوره الخاص" (سعد مصلوح، في النّص الأدبي، ص٢٣). بينما يمثل النّصّ الأدبي برمته المادّة التي يشتغل عليها النّاقد لذلك يمكنالقول بأنّ التقاطع بينهما يحدث في مجالي الوصف والتشخيص.

وعلى الرغم من تعدّد مفهومات الأسلوب سواء بإضافته إلى الفرد أو إلى العصر أو إلى أجناس القول أو إلى الواسطة التي ينقل بوساطتها، فإنّ الأسلوب (فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبيّة لسانيّة، ص٣٣):

١. هو السّلوك بالنسبة لعالم النّفس.
٢. هو المتحدّث/ المتكلم بالنّسبة لعالم البلاغة.
٣. هو الشّيء الكامن بالنّسبة للفقيه اللغوي.
٤. هو الفرد بالنّسبة للأديب.
٥. هو اللغة بالنّسبة للساني.

ولأنّ هذا المفهوم يختلف من الوجهة الأسلوبيّة الإحصائيّة، فقد اكتفى مصلوح بتقديم مفهومين يتفقان وطبيعة المعالجة، هما (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٢٣، ٢٢):

١- إنّ الأسلوب مفارقة departure أو انحراف deviation عن أنموذج آخر من القول ينظر إليه على أنّه معيار أو نمط norm.

٢- إنّه اختيار choice أو انتقاء selection.

بحيث يقوم به المؤلف اعتماداً على سمات لغويّة بعينها من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة، ونلاحظ أنّ الباحث يرجّح المفهوم الثّاني للاعتبارات الآتية:

١- الاختيار أمر تصدقه تجربة الأدباء فيما يكتبون.

٢- القول بأنّ الأسلوب هو تعبير معدول عن أصل معتاد يمكن أن يؤدّي إلى القول إنّ كلّ قول جاء على الأصل غير معدول خالٍ من الجمال، وليس ذلك صحيحاً على إطلاقه.

٣- إنّ مفهوم الاختيار يفتح المجال لتجميع مفردات الظّاهرة الأسلوبيّة، وضمّ شتاتها في منظومة بحثيّة واحدة (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٢٢).

ومهما يكن المفهوم الذي اعتمِدَ للأسلوب أساساً، فإنّ الباحث حدّد أمرين لا مناص منهما يتفق حولهما معظم الدّارسين، هما:

١- الأسلوب مفه وم احتمالي في جوهره: وهو بهذه الصّفة مستحق إلى أن يكون موضوعاً للمعالجة الإحصائيّة.

٢- إنّ الأسلوب بتنوّعاته المختلفة لا يمكن تحليله تحليلاً شافياً إلّا في ضوء التّحليل الشّامل للغة المعنية. أما عن الإجراء الذي يتخذه الباحث على مستوى النّقد التطبيقي من خلال النّماذج المختارة فتمثل أولاً في التمييز بين المتغيّرات الأسلوبيّة والخواص الأسلوبيّة حيث يعرف الأولى بكونها مجموعة السّمات - بالمفهوم الأوسع للمصطلح - التي يعمل فيها المنشئ بالاختيار أو الاستبعاد أو بالتكثيف أو بالخلخلة وباتباع طرق مختلفة في التوزيع؛ ليشكّل بها النّصّ، وحينئذٍ تصبح

المتغيّرات الأسلوبية سمات مميّزة stylistic features أو موائز discrimination (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص ٢٢).

هذه المتغيّرات قد تكون شكليّة تنصب على النّص المدوّن غالباً. كما أنّه يُنظَر على مستويين، مستوى الجملة، ومستوى النّصّ. يضاف إلى ذلك فإنّها متغيّرات التي خصّها مصلوح بالذّكر هي على سبيل المثال، ومن ثمّ تنوّعت المتغيّرات الأسلوبيّة. وقد ركّز الباحث عمله على أكثرها ملائمة للبحث الأسلوبي الإحصائي، وهي حسب تحديده كالآتي:

أولاً: المتغيّرات الشّكليّة: وتتمثل في (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص ٢٢):

١. الشّكليات التي تميّز الشّعر من النّثر (قسمة البيت إلى شطرين)
٢. توزيع الأبيات (الأسطر) على الصّفحة.
٣. الأشكال الهندسيّة البديعية.
٤. نظام الفارغات على الصفحة.
٥. فنون البديع القائمة على التصحيف والتحريف
٦. طول الكلمة (مقيساً بعدد الحروف).
٧. طول الجملة (مقيساً بعدد الكلمات بحسبان الكلمة كمّاً فيزيقيّاً متصلاً مسبوقاً وملحوقاً بفارغ).
٨. أنواع من الجناس (المركّب والمتشابه).
٩. علامات الترقيم.

ثانياً: المتغيّرات الصّوتية:

١. التوزيع النّسبي لفئات الصّوتيمات والفونيمات.
٢. أنواع المقاطع (المفتوحة أو المغلقة).
٣. التشاكل المقطعي isosylabism .

٤. الكلمات الموحية.

٥. أنساق نبر الكلمات word - stress .

٦. الوزن العروضي.

٧. الجناس بأنواعه التّام والنّاقص والمقلوب.

٨. السّجع.

٩. نظم التقفية، ومنها(سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص ٢٠، ٢١):

- القافية التّامّة true rhyme
- لزوم ما يلزم القلب methathesis.
- الإحالة anaphora

١٠. طول الكلمة "مقيساً بعدد المقاطع أو الصّوتيّات".

ثالثاً: المتغيّرات الصّرفيّة: وتشمل (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٢٣):

١- أقسام الكلم: (الاسم، الفعل، الصّفة، الظّرف، الضّمير، حروف المعاني).

٢- الصّيغ الصّرفيّة: الأفعال، الجموع، المصادر، المشتقات.

٣- مبتكرات الصّيغ.

رابعاً: **المتغيّرات التركيبيّة**، ومنها (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٢٣):

١. المركبات النّحويّة، مثل: المركّب الجرّي، والظّرفي، والنّعتي، والبدلي، والعطفي.

٢. أنواع الجمل، كالاسميّة، والفعليّة، والبسيطة والمركّبة، والمعقدة، والإنشائيّة، والخبريّة.

٣. جميع مباحث علم المعاني في البلاغة العربيّة.

٤. فنون بلاغيّة من مباحث علم البيان والبديع، مثل: اللف والنّشر، والابتداء، والتّخلص، والانتهاء، والجمع، والتفريق، والتقسيم، ورد الأعجاز على الصّدور.

٥. الصّحّة النّحويّة grammaticality.

٦. القبول النّحوي acceptability

خامساً: **المتغيّرات الدّلاليّة**: ومنها:

١. الوحدات المعجميّة lexems.

٢. المعجم النّوعي register.

٣. المفردات المهجورة archaism.

٤. المفردات الدّخيلة.

٥. الثروة اللفظية

٦. فنون بديعيّة في التوارث البلاغي، مثل: الطّباق، والتدبيج، ومراعاة النّظير، والإرصاد، والمشاكلة، والتورية، والتّجريد، والمبالغة، والتبليغ، والغلو، وغيرها.

سادساً: **متغيّرات ما فوق الجملة**: ومنها:

١. طول الفقرات وتوزيعها.

٢. هرمية البنية المنطقيّة للنّصّ.

٣. هرميّة البنية النّحويّة: كالكلمة، والمركّب، والعبارة والجملة والفقرة

٤. الرّبط بين الجمل.

٥. التوافق والتخالف في مباني الجمل.

٦. وسائل السّبك صوتيّة/ صرفيّة/ تركيبيّة/ معجميّة

٧. الالتفات على مستوى النّصّ pronominalization.)سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص ٣٢، ٣٣).

ولا يلزم الباحث أن يقوم بدراسة جميع هذه المتغيّرات، وانّما هي عبارة عن قائمة اختيارات ليس الغرض منها الحصر بقدر ما أريد لها أن تحدّد بعض الموائز؛ إذ أنّ "كلّ

خاصيّة لغويّة هي مائزة distinctive أو فضلة redundant هي متغيّر أسلوبي بالفعل وخاصية أسلوبيّة بالقوّة" (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٣٣).

بناءً على كونها صالحة لتكون موضوعاً للمعالجة الإحصائيّة الأسلوبيّة الهدف منها التشخيص الأسلوبي للنّصّ للوقوف على اختيارات المؤلف في طريقة تشكيله الأسلوبي.

وقد ربط مصلوح بين هذه المتغيّرات الأسلوبيّة وما سمّاه بالطّراز النّحوي grammatical model، وضرورة تحديده. هذا الطّراز الذي يعتمد "أساساً لتحديد مفهوماته، ومن ثمّ لتحديد المنهج واجراءات التّحليل وطرق القياس" (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٣٣).

ومن اللازم أن يعرف الباحث في المجال الإحصائي أنّ التشكيل الأسلوبي يرتبط بثلاثيّة مهمّة، هي ثلاثيّة:

المقام/ المعنى/ المقال. فأسلوبيات المقال هي التي "تنتظم السّمات اللغويّة في النّصّ على نحو تتحوّل به من مجرّد كونها آحاداً في قائمة المتغيّرات إلى خصائص أسلوبيّة مائزة للنّصّ" (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٣٣)، وهذا لا يعني أنّ قائمة المتغيّرات الأسلوبيّة اختيرت بعشوائيّة بل هي نتيجة تأمّل وفحص دقيق لعدد من الدّراسات الأسلوبيّة، كما أنّها ليست قائمة نهائيّة، فلكلّ باحث الحقّ في إجراء تعديلات في العلاقات بين وحداتها ومن ثمّ يستحيل على الباحث الواحد سواء في نصٍّ واحد أو مجموعة من النّصوص أن يدرس كلّ المتغيّرات المشار إليها سابقا؛ وذلك أنّ التشكيل الأسلوبيّ كما يذهب سعد مصلوح "عمليّة مركّبة تتمّ في نسيج متشابك معقد على جميع المستويات الصّوتيّة والصّرفيّة والتركيبيّة والمعجميّة في آنٍ معاً" (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٣٥) تقابله صعوبة لدى الباحث "عند محاولته فك تداخلات النّسيج، ولتشخيص الخصائص المائزة، واستكناه دلالاتها" (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٣٥). كما أنّ هذه المستويات المدروسة تتفاوت من حيث قابليتها للتشكيل الأسلوبي، ويقوم مصلوح بترتيبها على النّحو الآتي:

١- متغيّرات دلاليّة.

٢- متغيّرات صرفيّة وتركيبيّة.

٣- متغيّرات صوتيّة.

خامساً: معادل بوزيمان وتطبيقها على شعر كمال سبتي

من الطّرائق الإحصائيّة الحديثة التي تعين الدّارس في تمييز الأساليب المستخدمة لدى الشّعراء طريقة العالم الألماني بوزيمان Busemann سنة ١٢٢٢، وقد عُرِّفَت بمعادلة بوزيمان. ويعدّ بوزيمان أول من اقترح الإحصاء الأسلوبي، وطّبقه على نصوص الأدب الألماني، وقد أفاد بعده كثير من الباحثين، من بينهم ستيفن أولمان الذي تحدّث عن طريقة إحصائيّة تجمع مقارنات أسلوبيّة عدّة، هي: "الطّريقة التي تدرس مادّة معيّنة عبر الكلمات والمفاتيح التي تعني - في الاصطلاح الإحصائي- تميّز كلمات معيّنة في النّصّ الأدبي بكثرة ورودها مما تشكّل نسبة تكرار تزيد على نسبة تكرارها في اللغة الاعتياديّة" (حسن ناظم، البنى والأسلوبية، (أنشودة المطر للسياب)، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٢). لقد سعى سعد مصلوح من خلال كتابه "الأسلوب" إجراء "تطبيق معادلة بوزيمان التي تقوم على دراسة طرفين، أولهما: التعبير بالبحث، والثّاني: التعبير بالوصف، ويعني بوزيمان بالأوّل: الكلمات التي تعبّر عن حدث أو فعل، أمّا الثّاني: الكلمات التي تعبّر عن صفة مميّزة عن شيء ما؛ أي تصف هذا الشّيء وصفاً كميّاً وكيفيّاً" (حسن ناظم، البنى والأسلوبية، ص٥١).

يرى بوزيمان أنّه من الممكن تمييز النّصّ الأدبي بواسطة تحديد النّسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير: أولهما التعبير بالحدث، وثانيهما: التعبير بالوصف. فالنتيجة التي تحصل عن إيجاد خارج قسمة عدد الكلمات المعبّرة عن الحدث على عدد الكلمات المعبّرة عن الوصف يخبرنا عن أدبيّة نصّ ما أو علميته. فكلما ازدت النّسبة، كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبي، وكلما نقُصَت، كانت اللغة أقرب إلى الأسلوب العلمي (سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص٢٣).

بيد أنّ هذه الطّريقة أحياناً مربكة؛ إذ ليس من السّهل دائماً التمييز هل هذه الكلمة تنتمي إلى الحدث، أو تنتمي إلى الوصف، ومن هنا قام عالم النّفس الأماني نوبياور والباحثة شيلتسمان بتبسيط المعادلة، وصياغتها بطريقة أخرى، وذلك باستخدام عدد

الأفعال بدلاً من قضايا الحدث، واستخدام عدد الصّفات بدلاً من قضايا الوصف (سعد مصلوح، في، ص٢٢)، وبذلك جاءت المعادلة على الشّكل الآتي:

نسبة الفعل إلى الصّفة = عدد الأفعال ÷ عدد الصّفات.

وتدعى اختصاراً(ن ف ص)، وتكون(ن)= نسبة، (ف)= الفعل، و(ص)= صفة؛ أي نسبة الفعل إلى الصّفة.

أجرى الباحث سعد مصلوح تطبيقاً لهذه المعادلة في اللغة العربيّة ببيان بعض القواعد؛ إذ استثنى الأفعال النّاقصة (كان وأخواتها، وكاد وأخواتها)، والأفعال الجامدة، من مثل: نعم وبئس، وعسى، وليس، واخلولق، ... وغير ذلك. كما استثنى في حقل الصّفات الجمل الواقعة صفة، وكذلك شبه الجملة التي تقع موقع الصّفة. فيما يأتي إجراء تطبيقي لهذه المعادلة على بعض من أبيات الشّاعر كمال سبتي (كمال سبتي، ديوان وردة للبحر، قصيدة: للبحر.. على الرّيح الجنوبية):

أيتها الريح:

من جاء بالموت؟ قال الصديق: السّماء!!

وأنت أما تذكرين؟ هنا وردةُ الموت تزهر...

من جاء بالموت؟

قال الصّديق: التّارب وأنت أما تذكرين؟

لقد ذبلت وردةُ البحر، ضعنا

وأنفسنا مثل نهرين جفّا..

أما تنطقين؟

عدد الأفعال في هذه المقطّعة: ١٠، وعدد الصّفات: ٠، وتكون النسبة = ١٠.

في قصيدة أخرى يقول:

هياكل عظمية نار،

وشتاءٌ كالأفعى..

هذه هي بداية الحلم والمدينة التي في الأقصى

تبحثُ عنك، أو تبحث عنها.. لا فرق.

والطّفولة التي قُتِلتْ في الحانات..

إنسَ..

ما عدتَ تملك شيئ اً الثّالثة والعشرون..

انظر..

أين وجهّت المراكب؟ هياكل عظمية

يتكوّن الحلم شيئاً.. فشيئ اً يتلاشى الحلم شيئاً.. فشيئاً إنها النهاية وهي البداية نار الحبيبات يجلسن في القلب

أمّا الأفعال، فهي هنا: تبحث، تبحث (للمرة الثانية)، قُتِّلتْ، انس، انظر، ترى، وجهّت، يتكوّن، يتلاشى، يجلسن. أما الفعل "عدت"، فهو فعل ناقص دلّ على الزّمن، ولم يشير إلى معنى حدث. أمّا الصّفات، فهي: عظميّة، الأقصى، الثّالثة، عظميّة، الحبيبات، عاشقات. وعدد الأفعال هنا (١٠)، وعدد الصّفات ٥، فتكون النسبة = ٢.

ومن الجدير ذكره أنّ هناك مؤثرات أشار إليها سعد مصلوح، وهي تؤثر في انخفاض ن ف ص أو ارتفاعها في الكلام، وهذه المؤثرات يمكن أن ردّها إلى نوعين أساسيين، هما: ١. مؤثرات ترجع إلى الصّياغة Form، 2. مؤثرات تعود إلى المضمون content (سعد مصلوح، الأسلوب، ص٩٠).

وأمّا ما يتعلق بموضوع الصّياغة، وهو ما يهتم البحث هذا له، فيمكن هنا الحديث عن المقولات الآتية (سعد مصلوح، الأسلوب، ص٩٠، ٩١):

١- يتميّز الكلام المنطوق بارتفاع ن ف ص مقابل انخفاضها في النّصوص المكتوبة.

٢- تتميّز النّصوص الشّعريّة بارتفاع ن ف ص مقابل انخفاضها في النّصوص النّثريّة.

٣- يتميّز الشّعر الغنائي بارتفاع ن ف ص مقابل انخفاضها في الشّعر الموضوعي.

وفيما يتعلق بالمؤثرات التي تعود للمضمون، فإنّ سعد مصلوح يتحدّث عن العمر والجنس اللذين يؤثران بوضوح في ن ف ص. فالمعادلة ن ف ص تتجه نحو الارتفاع، إذا كان المؤلف شاباً، وتميل نحو الانخفاض إذا كان قد وصل إلى سنّ الكهولة. كما ترتفع هذه المعادلة عند النّساء، مقابل انخفاضها عند الرّجال (سعد مصلوح، الأسلوب، ص٩٢).

إنّ تطبيق معادلة بوزيمان على قصائد الشّاعر سبتي يضمن تقييم القصائد بعيداً عن الذّاتية، بحيث لا يُتماسك هنا بعنصر الذّوق أو الرأي المسبق، بل يتم التقييم وفق مبدأ علمي من خلال الاستعانة بالأساليب الحديثة.وفيما يأتي إحصاء عدد الأفعال والصّفات في ثلاثة دواوين للشّاعر سبتي، والبداية مع ديوان "وردة البحر:"

الرقم	القصيدة	عدد الأسطر الشعرية	عدد الأفعال	عدد الصفات	ن ف ص
١	غامضة دماؤه	٥٠	٢٠	٣٣	٢ ،١
٢	للبحر على الريح الجنوبية	٥٢	٣٢	١٣	٢ ،٣
٣	الممرات	٣٩	٢٣	١٣	٩ ،١
٣	تحوير	١٩	١٣	٢	٥ ،١
٥	السّيّاب	٣٣	٢٢	٢	٩ ،٣
٢	الأحلام المهجورة	٣٩	٢٣	٢	٣
٢	ابرةٌ وصخرةٌ وروح	٣٥	٢٣	٣	٢
٩	أدغال	٣٠٢	٢٣٢	٥٠	٢٣ ،٣
٢	الوجه الثّاني	٥٢	٣٢	٥٢	٩ ،٠
المجموع		٢٢٩	٥١٥	٢٠٢	٣٣ ،٢٩

أمّا النسبة المئويّة لمجموع الأفعال إلى الصّفات في قصائد ديوان "وردة البحر" فهو: ٢٠٪ للأفعال، ٣٠٪ الصّفات. أمّا قياس ن ف ص في قصائد الديوان، فهي ٢، ٩، وهذا يشير إلى أدبية النّصوص، والشّاعر كان أكثر انفعالية.

إنّ إنعام النّظر في قصائد الدّيوان يشير إلى تفاوت عدد الأسطر الشّعريّة، وهذا ما يجعل النّسبة مختلفة بين الارتفاع في قصيدة والانخفاض في أخرى، ولهذا أثر في انفعالية الشّاعر. وكما يجب ألّا يغفل أنّ الكلام المكتوب ينقحه الشّاعر مرات عدّة، فيحذف شيئاً، ويضيف أشياء قبل أن يقدّمه بشكله النّهائي. وبالتالي فإن طول القصيدة تعطي سبتي فترة

لنظمها، وطول الفكر فيها، وبالتّالي تكون أقل أدبية، وأبعد عن الأسلوب الأدبي. ويلحظ أنّ القافية غير موحدّة في قصائد سبتي وبالتّالي انطلق في التعبير عمّا يدور في ذهنه من دون قيد يقيده، ولا يخفى على الباحث دور القافية في تغيير النّسبة خاصّة إذا كانت صعبة، وانتهت بأصوات، قليلٌ استخدامها، كأن تكون (ق، خ، ص، ظ، ...). ويمكن القول إنّ شعراء العصر الحديث، ومنهم كمال سبتي تحرّروا من نظام القافية لهذا السّبب، فنظموا الشّعر الحر الذي يترك لأخيلتهم الحريّة في الانبعاث فالانطلاق، وبالتّالي فإنّ هذه النّسبة عموماً مرتفعة في الشّعر المرسل، كشعر سبتي. كما أنّ هذه النسبة مرتفعة في قصائد سبتي التي لم ينظمها على بحر واحد بل تعدّدت البحور والأوازن، واكتفى أحيانا بتفعيلة أو تفعيلتين من بحرٍ ما، وبالتّالي تمكّن سبتي من التعبير عن أفكاره ببساطة وحرية.

الخاتمة:

وخلص هذا البحث إلى جملة من النّتائج، نوجزها فيما يأتي:

- تتعدّد طرائق ومناهج معالجة النصوص الأدبية، ولكل منهج تقنياته، وآلياته الخاصّة.
- يشكّل النّصّ الأدبي القاسم المشترك بين المؤلف والباحث، والنّاقد الأدبي، واللساني.
- يختص الأديب بالتشكيل الأسلوبي، ويضطلع الباحث بالتشخيص الأسلوبي.
- تسعى الأسلوبيّة الإحصائيّة إلى إيجاد آليات مضبوطة على المستوى الإجرائي لدراسة النّصّ الأدبي
- سعت الأسلوبيّة الإحصائيّة إلى علمنة النص، وكانت الدبية غائبة في طرائقها.
- آمن سعد مصلوح إيماناً مطلقاً بقدرة الأسلوبيّة الإحصائيّة على تجاوز جانب الإحصاء الكمّي إلى المستوى التّأويلي.
- تتعدّد مجالات ومستويات التّحليل الأسلوبي الإحصائي.
- ينبني التّحليل الأسلوبي على علاقة الباحث مع النّصّ، وتنتهي هذه العلاقة في بداية التّحليل حتى لا تكون هنا رأي مسبق، أو ميول للذّاتيّة. يعمد الباحث

الأسلوبي إلى تفكيك ال نّصّ إلى عناصر فجزئيات، ويحللها، ويراقب العدول والانحراف في النّصّ، ويستند إلى المنهج الإحصائي بوصفه الأدقّ والأكثر علميّة وموضوعيّة حتى يصل إلى نتائجه الناشئة من تحليل النّصّ، واعادة بنائه، والكشف عن جماليات النّصّ الأدبي انطلاقاً من بنيته اللغويّة.

- من خلال الإحصاء الذي أجري في قصائد الشّاعر سبتي، تظهر بعض الفرضيات مما يمكن أن تعدّ مؤثرة في تغيير (ن ف ص)، وذلك تبعاً لمؤثرة التي تكلمت على أثر الكلام المنطوق والمكتوب في تغيير النّسبة. فوارء الكلام المكتوب فكر طويل مما يؤدّي إلى تغيير نسبة (ن ف ص)، فتنخفض، بينما الكلام المنطوق ترتفع فيه النسبة.
- تعد نسبة (ن ف ص) مرتفعة في قصائد سبتي لأسباب كثيرة، أولها أنّ شعره مرسل متحرّر من قيد القافية، وبالتّالي لا يحتاج إلى نظم والتّحريّ عن الألفاظ المناسبة لوزن ما أو قافية، بل يترك الشّاعر العنان لخياله، فيعبّر عن أفكاره من دون طول تأمّل وتصنّع وتفكير.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٢٥٥.
٢. ابن طباطبا العلوي، محمد أحمد عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٢٩٢.
٣. ابن منظور المصري الإفريقي، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشّاذلي، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
٤. أبو العدوس، يوسف، البلاغة والأسلوبية مقدّمات عامّة(، الأهليّة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٢٢٢.
٥. بليث، هنريش، البلاغة والأسلوب، تر: محمد العمري، إفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان، ١٢٢٢.
٦. بن ذريل، عدنان، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشوارت اتحاد الكتاب العرب - دمشق، ٢٠٠٠.

٧. بن يحيى، محمد، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، ط١، ٢٠١١.

٨. تاوريريت، بشير، محاضرات في مناهج النّقد المعاصر (دراسات في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية).

٩. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٢٢٩.

١٠. جيرو، بيير الأسلوبية، ت رجمة: منذر عياشي، ١٢٢٢ مركز الإنماء الحضاري للطباعة والترجمة والنّشر، ط٢، ١٢٢٣.

١١. ساندريس، فيلي، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة: خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣.

١٢. سبتي، كمال، وردة البحر، دائرة الشّؤون الثقافية، بغداد، ٩١٩١.

١٣. السدّ، نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار همة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج١، ٢٠١٠.

١٤. سليمي، على /أحمدي، محمد نبي، الأدب وعناصره الجمالية، مجلة اللغة العربية وآدابها، ١٣٣١ ق، العدد ١٠.

١٥. الشّايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ٢٠٠٣.

١٦. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٢٢٩.

١٧. طيبة، محمد عبد السّميع، مبادئ الإحصاء، دار البداية، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٢.

١٨. عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ١٢٢٢م،

١٩. عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبيّة، مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، ط١، ١٢٢٣.

٢٠. عياشي، منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، ط١، ٢٠٠٢.

٢١. فضل، صلاح، علم الأسلوب (مبادؤه، وإجراءاته) دار الشّروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٢٢٩.

٢٢. كروتشه، بندتو، المجمل في فلسفة الفن، ترجمة: سامي الدروبي، القاهرة، ١٢٣٢.

٢٣. مصلوح، سعد عبد العزيز الأسلوب (دراسة لغويّة إحصائيّة)، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠.

٢٤. مصلوح، سعد، في النّص الأدبي، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠.

٢٥. المسدي، عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط٣.

٢٦. ناظم، حسن، البنى الأسلوبية (دراسة في أنشودة المطر لبدر شاكر السياب)، المركز الثقافي العربي، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢.

٢٧. يوسف، أحمد، القراءة النسقية (سلطة البنية، ووهم المحادثة)، منشورات الدار العربية للعلوم (ناشرون)، بيروت، لبنان، ، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢.